ISSN: 1994-4217 (Print) 2518-5586(online)

Journal of College of Education

Available online at: https://eduj.uowasit.edu.iq

Assis.Lect. Israa Nuri Ghulam

General Directorate of Wasit Education

Email: fatmtnwry19@gmail.com

Keywords:

The second Abdul Hamid , federalists, the Constitutional Covenant, Ottoman decentralization

Article info

Article history:

Received 15.mar.2022

Accepted 17.Apr. 2022

Published 29.May. 2023

The impact of the intellectual and political unionist coup in Iraq 1908 - 1914

A B S T R A C T

The political life in Iraq was proceeding with rapid steps, and the revolution of the Unionists in 1908 had a clear role in determining the form of the new political life in Iraq. This revolution was considered a dangerous turning point in the history of the Ottoman Empire and the peoples under its banner, especially since those peoples were looking forward to liberation from the yoke of tyranny. Al-Hamidi for an era of more than three decades and aspires to restore the constitution that he suspended after assuming the throne shortly, and the revolution of 1908 had a wide echo in Iraq, after the Iraqis were reading in the Iraqi and Arab newspapers about the activity of political movements in Western countries, and about the events of those disturbances, protests and demonstrations And after they got acquainted with the meanings of political terms such as political representation, election, freedom, justice and equality by reading newspapers and magazines, after the revolution of the Unionists they became face to face in front of these terms, after they were for a long time little political activity compared to their counterparts from the Levant and Egypt intellectuals, and called for the revolution from its beginnings Freedom, justice and equality, the three principles that the leaders of the revolution advocated and wanted to apply to all the people of the Ottoman Empire without religious or national discrimination

© 2022 EDUJ, College of Education for Human Science, Wasit University

DOI: https://doi.org/10.31185/eduj.Vol51.Iss2.3550

أثر انقلاب الاتحاديين الفكري والسياسي في العراق
١٩٠٨ – ١٩١٤

م.م. أسراء نوري غلام
المديرية العامة لتربية واسط

الملخص

إن الحياة السياسية في العراق كانت تسير بخطوات سريعة، وكان لثورة الاتحاديين عام ١٩٠٨، دور واضح في تحديد شكل الحياة السياسية الجديدة في العراق وعدت تلك الثورة نقطة تحول خطيرة في تاريخ الدولة العثمانية والشعوب المنضوية تحت لوائها لاسيما وأن تلك الشعوب تتطلع الى التحرر من نير الأستبداد الحميدي لحقبة تزيد على ثلاثة عقود وتطمح لإعادة الدستور الذي عطله بعد تسلمه العرش بمدة وجيزة، وكان لثورة عام ١٩٠٨، صدى واسع في العراق، فبعد أن كان العراقيون يقرأون في الصحف العراقية والعربية عن نشاط الحركات السياسية في دول الغرب، وعن أحداث تلك الاضطرابات والاحتجاجات والمظاهرات، وبعد أن تعرفوا على معاني مصطلحات سياسية مثل التمثيل السياسي والانتخاب والحرية والعدالة والمساواة من خلال قراءة الصحف والمجلات أصبحوا بعد ثورة الاتحاديين وجهاً لوجه أمام هذه المسميات، بعد أن كانوا ولمدة طويلة قليلي النشاط السياسي مقارنة بنظرائهم من مثقفي بلاد الشام ومصر، ونادت الثورة منذ بداياتها بالحرية والعدالة والمساواة، الأسس الثلاثة التي نادى بها قادة الثورة وأرادوا تطبيقها على جميع أبناء الدولة العثمانية من دون تمييز ديني أو قومي .

الكلمات المفتاحية / عبد الحميد الثاني، الاتحاديين ، العهد الدستوري ، اللامركزية العثمانية

الـمقـدمــة

مثل الانقلاب العثماني الذي قادته جمعية الاتحاد والترقي في الثالث والعشرين من تموز ١٩٠٨، هزة عنيفة في الحياة السياسية والاجتماعية العثمانية فكان لإعادة الدستور ورفع شعار الحرية والمساواة الحرية والغاء جهاز الرقابة وانهاء الجاسوسية الذي كانً مسلطا على رقاب الرعايا العثمانيين، أثره الهائل والكبير في بث الأمل في نفوس الناس حول الإمساك بأولى خيوط التغيير، ونبذ العلاقات القديمة التي هيمنت على الحياة العامة ووصفتها بالجمود، إذ لم يكن العراق حتى أواخر القرن التاسع عشر تربة خصبة لنمو الحركة القومية، وبالتالي ظهور الجمعيات والأحزاب السياسية والجماعات الإصلاحية ويعود ذلك لأسباب كثيرة أبرزها التخلف والجمود الاقتصادي والاجتماعي اللذان كانا سائدين في العراق في تلك الحقبة وان التغيرات الاجتماعية والاقتصادية البطيئة ألتي بدأت في الظهور أواسط القرن التاسع عشر عكست نفسها سياسيا بيد النشاط السياسي المنظم وانتشار الوعي القومي العربي في العراق وفي غيره من الدول العربية.

حتمت طبيعة الاحداث تقسيم البحث الى مقدمة وثلاث مباحث وخاتمة تم التطرق في المبحث الاول الى نشأة جمعية الاتحاد والترقي، اما المبحث الثاني فتناول التطورات السياسية بعد الانقلاب العثماني وانعكاسها على الفئة المثقفة، وتم التطرق في المبحث الثالث دور المثقفين في التنظيمات السياسية والمؤسسات الفكرية، بينما حددت الخاتمة أهم الاستنتاجات التي توصلنا اليها في خاتمة البحث.

المبحث الاول. نشأة جمعية الاتحاد والترقي:

حتم واقع الغليان الاجتماعي والفكري للدولة العثمانية خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر ظهور تنظيمات سياسية تتفاعل معه، وتعمل على تلبية متطلباته، جمعت بين شعور عارم بالاستياء من الأوضاع الاقتصادية والسياسية المتردية، ورغبة جياشة في التغيير، برز بينها ما عرف بـ ''جمعية الاتحاد والترقي'' (İttihat ve Terakki Cemiyeti) (بيات، ٢٠٠٣، ص٥٦).

ضمن الفئة المثقفة، وبين الصفوف الطلابية بالذات، يمكن متابعة تكون النواة الأولى لجمعية الاتحاد والترقي، ففي الذكرى المئوية للثورة الفرنسية، وبإيحاء كل ما رافقها من أجواء، قامت مجموعة من طلبة الكلية الطبية العسكرية في الحادي والعشرين من أيار ١٨٨٩،(حرب، ١٩٩٩، ص٣٣)، بتشكيل جمعية سرية هدفها الواضح معارضة النظام الاستبدادي الحميدي، وذلك بمبادرة من الطالب الألباني إبراهيم تيمو، الذي التحق بالكلية عام ١٨٨٨-١٨٨٩، ليتيح له إضراب طلابي، حدث في السنة نفسها التعرف على الطلبة المتفقين معه في الرؤى والتوجهات، وبدأ بمفاتحة إسحاق سكوتي، وهو كردي من ديار بكر، ليدعوا مع بعضهما اثنين من أقرانهما في الصف، وهما كل من عبدالله جودت، كردي من عرب كير، ومحمد رشيد، شركسي من القوقاز، ولم يلبث أن انضم إليهم عضو خامس هو حسين زادة علي من باكو واختار المؤسسون ''الاتحاد العثماني'' (İttihad-ı Osmani) اسما لجمعيتهم (بيات، ٢٠٠٣،ص٦٠).

لم يكن من قبيل المصادفة أن تشكل الكلية الطبية مهدا للجمعية، فالفن العسكري والطبي يمثلان قطاعين من قطاعات الدولة جرى الاضطلاع فيهما بإصلاحات تحديث منذ مرحلة مبكرة، وكانا ، بحكم ذلك الواقع، متقدمين على بقية المجتمع في أغلب الأحيان، كما أن التدريس بالكلية الطبية العسكرية منذ البداية كان باللغة الفرنسية، وهو ما فتح الباب على مصراعيه أمام طلابها لينهلوا من الفكر الأوربي، ويكونوا أكثر اتصالا بالمفاهيم والعلوم الغربية، والأقوى ارتباطا باتجاهات أوربا الفكرية، والأكثر ابتعادا عن الموروث الفكري، لاسيما وإن مناهجهم خلت من دراسة العلوم الدينية أو التقليدية ، واتسمت بطابع عصري قياسا بكل أنواع المعرفة السائدة، لينعكس كل ذلك في طبيعة نظرتهم لواقعهم الاجتماعي والشكل الذي طمحوا أن يكون عليه (أنيس، ١٩٨٤، ص٣١) .

بعد بدايتها المتواضعة أخذت الجمعية بالانتشار أولا بين صفوف المدارس العليا الاسطنبولية في الكلية الحربية، والكلية البحرية، ومدرسة الطب البيطري، ومدرسة الإدارة وغيرها من المدارس الحديثة (Papadopouloo, 1969,p.56) ، ساعدها المناخ الثوري المهيمن على تلك الأماكن، الذي كان من بين مظاهره تزايد أعمال العصيان، وارتفاع هتاف الطلبة، مرارا بملئ إرادتهم ''يحيا الدستور'' و ''يسقط السلطان'' بدلا من ''عاش السلطان''، كما بدأت الجمعية، بخطى وطيدة، باكتساب الأنصار بين ضباط الجيش، وضمن العاملين في صفوف البيروقراطية (أبراهيم، ٢٠١٣، ص٥).

أخذ الأعضاء يعقدون اجتماعاتهم بصورة جدية، وصاروا يطلقون على كل اجتماع اسما خاصا به، فسموا الاجتماع الأول ''اجتماع الأربعة'' (Dörtler İçtimaı)، والاجتماعات القليلة التي تلته أطلق عليها ''اجتماع أمام الحمام''(Hamamönu İçtimaı) أو ''اجتماع في غرفة المطالعة أمام حطب الموقد'' (Hatab Kıraathanesi İçtimaı)، وجرت في تلك الاجتماعات التباحث في أوضاع الدولة العثمانية، والحديث عن الثورة الفرنسية، والتغني بقصائد نامق كمال وقراءة كتاباته (دورو،١٩٥٧،ص٦).

بعد شهرين من الاجتماع الأول عُقِد أول اجتماع خارج أسوار الكلية الطبية العسكرية في حديقة مقهى يملكه رجل الباني يدعى علوش اغا، وأطلق على الاجتماع اسم اجتماع تحت شجرة التين (İnciraltı İçtimaı)، شارك فيه، حسب رواية تيمو، اثنا عشر عضوا، وهم، فضلا عنه، وعن زميليه عبدالله جودت واسحق سكوتي، كل من علي رشدي الهرسكي،

موظف في وزارة العدل، والصحفي علي شفيق الازميري، وعساف درويش، طالب في كلية الطب، ومحرم الكريتي، مدرس في كلية طب الشام، وشرف الدين مغمومي، طالب في كلية الطب من منطقة اسكدار، ومحمد رشيد الشركسي وثلاثة آخرون نسي تيمو أسماءهم (كاشي،١٩٩٠،ص٢٢).

دارت مناقشات الاجتماع حول نظام العمل في الجمعية وأسلوب قبول الأعضاء، ولم يخلُ الحديث من خلاف في وجهات النظر، إذ طالب البعض باقتصار العضوية على العناصر المسلمة، وكان القرار النهائي، كما أصر عليه إبراهيم تيمو، جعل القبول مفتوحا لكل عثماني، بغض النظر عن ديانته وقوميته، طالما ثبت حسن نيته واستعداده للكفاح ضد الحكم الاستبدادي، وخرج المجتمعون بعدة قرارات، أهمها عقد لقاءات أسبوعية في أماكن مختلفة لكتابة النظام الداخلي للجمعية، وجمع الرسوم، وتأسيس الفرو كما تم انتخاب هيئة إدارية للجمعية صار بموجبه علي رشدي رئيسا للجمعية، نظرا لسنه ومقامه حسب تعبير تيمو، وانتخب شرف الدين مغمومي أمينا للسر، وعساف درويش أمينا للصندوق (دورو، ١٩٥٧، ص١٤).

حوّل ذلك اللقاء الجمعية من مجموعة طلاب ينقصهم التنظيم إلى مؤسسة ذات إطار عمل محدد، ومعقد بعض الشيء، فقسمت الجمعية إلى خلايا، ضمت كل خلية خمسة أعضاء، وأعطي كل عضو فيها رقما كسريا، وضع في بسطه رقما خاصا بالعضو، أما مقام العدد فيمثل رقم الخلية، وتسلم إبراهيم تيمو، بوصفه مؤسسا، رقم العضوية الأول ١/١، أي العضو الأول في الخلية الأولى، وبالطريقة نفسها تم إعطاء الأرقام الأخرى لبقية الأعضاء الذين تقرر أن تقتصر دائرة معارفهم من أعضاء الجمعية على أعضاء الخلية فقط، باستثناء عضو الارتباط الذي يحق له أن يكون على معرفة بعضو واحد من الخلية الأخرى، ودفع التنظيم الكثير من الباحثين، بدءا برامزور والعديد ممن ساروا على نهجه، إلى تأكيد التأثر بمنظمة الكاربوناري (Carbonari)*، ومع إن هذا الاحتمال يبقى واردا، إلا أنه ليس هناك معلومات تؤكد معرفة العناصر المؤسسة للجمعية بآراء وأفكار الكاربوناري، في الوقت الذي توجد فيه إشارات واضحة إلى التأثر بالجمعية اليونانية السرية فيليكي ايتيريا (Filiki Eteria)**، إذ أن إبراهيم تيمو أشار إليها، بوصفها أنموذجا منذ اللقاء الأول لتأسيس الجمعية وعمد خلال الاجتماعات إلى شرح تنظيماتها وأعمالها مع المؤسسين، والواقع إن الجمعيتين كان يجمعهما الكثير من التشابه، ولاسيما في الجانب التنظيمي، وشرب الاثنان موضوعيا من منهل واحد هو الماسونية، وسواء كان التأثر بهذه أو تلك فأنه، على أي حال، لم يكن بالأفكار السياسية، وإنما في إطار أعمالهما المؤسساتية فنظام الأرقام كان من شأنه أن يحافظ على سرية الجمعية وأمن أعضائها، وهو مطلب ضروري في ظل النظام الحميدي (برو، ١٩٦٠، ص٥٠).

المبحث الثاني. التطورات السياسية بعد الانقلاب العثماني وانعكاسها على الفئة المثقفة العراقية:

إن الحياة السياسية في العراق كانت تسير بخطوات سريعة، وكان لثورة الاتحاديين عام ١٩٠٨، دور (أثر) واضح في تحديد شكل الحياة السياسية الجديدة في العراق، وقد عدت تلك الثورة نقطة تحول خطيرة في تاريخ الدولة العثمانية والشعوب المنضوية تحت لوائها لاسيما وأن الشعوب تتطلع الى التحرر من نير الاستبداد الحميدي لحقبة تزيد على ثلاثة عقود وتطمح لإعادة الدستور الذي عطله بعد تسلمه العرش بمدة وجيزة (أنيس،١٩٨٤، ص٣٣) .

كان لثورة عام ١٩٠٨، صدى واسع في العراق، فبعد أن كان العراقيون يقرأون في الصحف العراقية والعربية عن نشاط الحركات السياسية في دول الغرب، وعن أحداث تلك الاضطرابات والاحتجاجات والمظاهرات، وبعد أن تعرفوا على معاني مصطلحات سياسية مثل التمثيل السياسي والانتخاب والحرية والعدالة والمساواة من خلال قراءة الصحف والمجلات أصبحوا بعد ثورة الاتحاديين وجهاً لوجه أمام هذه المسميات، بعد أن كانوا ولمدة طويلة قليلي النشاط السياسي مقارنة بنظرائهم من مثقفي بلاد الشام ومصر (حبيب، ١٩٥٣،ص٧٢)

نادت الثورة منذ بداياتها بالحرية والعدالة والمساواة، الأسس الثلاثة التي نادى بها قادة الثورة وأرادوا تطبيقها على جميع أبناء الدولة العثمانية من دون تمييز ديني أو قومي واختلف موقف الأهالي في العراق بشأن الانقلاب العثماني الذي حدث فعلى الصعيد الرسمي أقيمت الاحتفالات الواسعة، ورفعت أعلام الزينة في معظم المدن والأقضية والنواحي (صالح، ١٩٧٨، ص١١٩) .

ورأى البعض من أصحاب المصالح من العراقيين أن دعوة الدستور الى المساواة هي وسيلة لتجريدهم من امتيازاتهم القديمة، أما الفئة الأخرى من ذوي التفكير الديني فقد أعربوا عن سخطهم واستغرابهم لما حدث واعتبروا رفع شعارات الآخاء والمساواة اهانة وإذلال للإسلام والمسلمين وقالوا: "**أن الشريعة إذا كانت موجودة فمن وجه الاعتماد على القانون الأساسي أو لحقوقه الأساسية ... أن هذه الإدارة وسيلة لتدخل الأجنبي** "، (السويدي، ١٩٦٦، ص١٩)، وبذلك فقد انقسم رجال الدين الى فريقين: الفريق الأول اعتبروا ما حدث خروجاً على الإسلام ، أما الفريق الثاني فقد بعث ممثلوه ببرقية الى السلطان عبد الحميد الثاني أكدوا فيها وجوب تنفيذ بنود الدستور (كمال الدين، ١٩٥٩، ص٢٧) .

أما موقف المثقفين العراقيين، فقد رحبوا بالثورة بحماس مثل الرصافي والزهاوي ومحمد رضا الشبيبي ومحمد باقر الشبيبي وعبد القادر العبيدي وعبد الحسين الأزري وكاظم الدجيلي وإبراهيم صالح شكر وعبد اللطيف ثنيان وغيرهم، وبدأوا يشرحون للناس معنى الدستور ويوضحون الأسباب التي حدث بقادة الثورة الى إحيائه من خلال ما تم نشره في الصحف والمجلات (المقدسي،١٩٦٧،ص٤٥).

إن الآراء التي عبر عنها المثقفون العراقيون تبين بوضوح موقفهم من الثورة الاتحادية التي اعتبروها ضرورة تاريخية من شأن نتائجها أن تسير مجتمعهم في الاتجاه الذي كانوا يريدون، وقد وصف عباس العزاوي أحد المثقفين المجددين يوم انتصار الثورة بأنه "**من أعظم العهود العثمانية ، وأجلها لما حصل فيه من انكشاف فكري في الأقطار التابعة للدولة ومنها العراق ، فقد انتشرت بفضلها المطبوعات ، وتنبهت الأفكار ، فعلمنا الشيء الكثير ، والتفتنا الى ما لم نكن نحلم به ، أو نهتم به ... فكأن التاريخ تجمعت عصوره في هذه السنين** " (النصيري،٢٠١٢،ص١٠٩) .

ظهرت أمام الفئة المثقفة العراقية الحديثة ظروف مناسبة للعمل بشكل أكثر حرية من قبل، لاسيما بعد إصدار مرسوم يقضي بإلغاء نظام الجاسوسية ، وإعلان العفو العام عن المبعدين والسجناء السياسيين، وكان للصحافة دور كبير في تلك المرحلة، فقد اعتبرت من أهم أدوات التبشير والتوجيه بيد المثقف العراقي، فلم يمر سوى أسبوعين على إعادة العمل بدستور عام ١٨٧٦، حين صدرت أول جريدة أهلية في تاريخ العراق هي جريدة " بغداد " يوم ٨ آب عام ١٩٠٨، ساهم في تحريرها عدد من أبرز المثقفين أمثال الرصافي والزهاوي وفهمي المدرس وغيرهم، توالى بعد ذلك صدور الصحف، فصدرت في العراق في غضون ثلاث سنوات فقط ما يقارب السبعين جريدة بين سياسية وأدبية وهزلية (عبد الرحمن ،١٩٧٤، ص٤٣).

أسهمت الصحافة الى حد كبير في القضاء على الأفكار البالية والخرافات في المجتمع وعملت على تنوير الأذهان، الذي تحول الى الهدف الأول لمعظم الصحف العراقية التي صدرت في تلك المرحلة، وبفضل تلك الصحف دخلت مفردات جديدة الفكر السياسي العراقي لم تكن معروفة أو متداولة من قبل، ولم يكن معظم الناس لديهم إلمام كاف ومعرفة بها ، مثل "المشروطية " والحقوق المترتبة عليها قبل إعلانها في اسطنبول (النصيري، ٢٠١٢، ص١١١).

وقد وجدت الصحافة العراقية في إطلالها ومواضيعها الجديدة قبولاً واسعاً بين المثقفين العراقيين، فعلى سبيل المثال بلغ عدد النسخ من جريدة " بغداد " الى ثلاثة آلاف نسخة، وكان هذا العدد في تلك الفترة يعتبر قفزة كبيرة نحو الأمام، إذ لم تطبع قبل ذلك أكثر الصحف انتشاراً أكثر من ألف نسخة فقط (عبد الرحمن،١٩٧٤،ص٤٤).

ومن مظاهر الحياة السياسية الجديدة ظهور الاختلاف والتصارع فيما بين وجهات النظر المختلفة، ولقد أثار مسألة انتصار الاتحاديين بين بعض الأوساط العراقية الكثير من المشاكل، لاسيما وأن الشعار الذي رفعه أنصار الاتحاديين المتمثل بالمساواة وتقييد سلطة السلطان سبب ازعاجاً شديداً لبعض العراقيين ذوي النزعة المحافظة ممن كانوا ينظرون الى مفهوم المشروطية (الدستور) بقلق وحذر (نظمي،١٩٨٤،ص٨٧).

وكانت المشروطية تحضى بالدرجة الرئيسية بتأييد فئة المتعلمين من الطبقة الوسطى (الأفندية)، وبالرغم من تأييد الحكومة فإن المشروطية واجهت معارضة واسعة، وأدينت من كبار الوجهاء وبعض الزعماء الدينين الذين لم ترق لهم المساواة بين الأغنياء والفقراء، أما الأغلبية من العامة فقد انحازت في البداية الى جانب (المعسكر المحافظ) (عبد القادر،١٩٨٩،ص٦٦).

وعلى أثر إعادة الدستور تغير شكل الإدارة أيضاً في بغداد حيث نظمت دواوين الحكومة، وأخذت بغداد تسير نحو المدنية والعمران، كما أسست في بغداد عدة مدارس رسمية للبنين وثلاث مدارس للبنات، وجعل التعليم في المدارس الرسمية الابتدائية باللغتين العربية والتركية بعد أن كانت مقتصرة على اللغة التركية، كما أسست مدرسة دار المعلمين ومدرسة الحقوق وغير ذلك من المدارس العالية والمعاهد العلمية بين رسمية وأهلية، من جهة أخرى ظهرت في بغداد الملاهي والمراقص لأول مرة وصار البغداديون يتلهفون على المراقص ويبذلون فيها كل ما يملكون حتى وصف الشاعر معروف الرصافي بغداد بعد الدستور بقصيدة مطلعها (الزيدي،١٩٩٠،ص٣٠):

أرى بغداد تسبح في الملاهي وتعبث بالأوامر والنواهي

قام المثقفون في بغداد على أثر إعلان الدستور بإصدار المجلات والجرائد وساهموا في العمل لتأسيس الجمعيات والنوادي السياسية فيما بعد ، كما أنهم رحبوا بالعهد الجديد الذي وجدوا فيه خطوة نحو التقدم والحرية والمساواة وحرية التعبير عن الرأي، وكثرت الجرائد والمجلات في بغداد حتى بلغت أكثر من ستين جريدة ومجلة تنوعت بين عربية وتركية، إلا أنها لم تستمر طويلاً بسبب قلة الإقبال عليها وأخذت تتقلص حتى لم يبق منها عندما قامت الحرب العامة غير عدد قليل لا يتجاوز عدد أصابع اليد الواحدة، غير أن الأعمال التي قام بها الاتحاديون في بغداد أثارت شكوك ومخاوف بعض العوائل البغدادية، ولذلك فإنهم لم ينالوا احترام الناس الأكثر تعقلاً وأولئك المعتدلين الذين كانوا يؤيدون قيام حكومة دستورية غير متطرفة ويستنكرون تلك الأعمال الفوضوية التي ارتكبها الشبان الأتراك المتحمسون تحت ستار الوطنية والإخلاص للنظام الجديد (غرايبة،١٩٦٠، ص٢٢٣).

هكذا عرف العراقيون فكرة الاعتراض والرفض من خلال الاستنكار والمظاهرة ، وبدأت الفئة المثقفة العراقية تؤثر معنوياً وعملياً في إعداد كبيرة من الناس، بعد خروجهم بمظاهرات ضد قرار الوالي حازم بك (١٩٠٧ – ١٩٠٨) عندما أمر بتسجيل نفوس البغداديين ذكوراً وإناثاً، ذلك لأنهم ما كانوا يريدون تسجيل أسماء النساء، وكانوا يخرجون بالطبول والأعلام ويسيرون في الطرقات، متظاهرين بالنقمة والاحتجاج على تلك الإجراءات الجديدة وحاول العراقيون الاستفادة من التظاهر في جعله وسيلة للضغط ولتحقيق المطالب، فظهرت حالات الاعتصام منها على سبيل المثال اعتصام دباغي الأعظمية الذين تجمعوا في إحدى الردهات وأوقفوا العمل، إلا أن رئيسهم زاد راتبهم فعدلوا عن غايتهم شاكرين له (لغة العرب،١٩١٢،ص٢١٦).

لم تكن المظاهرات وسيلة للتعبير عن الحاجات والمطاليب الوطنية أو المحلية فقط ، بل أصبحت أداة للتعبير عن وجهات النظر والمواقف تبعاً للأحداث والتغيرات في داخل العراق، أو في أقاليم الدولة العثمانية الأخرى، ووجدت الفئة المثقفة العراقية في التظاهرة وسيلة للتعبير عن المساندة والتلاحم مع الدولة العثمانية المسلمة ضد أي خطر أجنبي يهددها

، ولم يكتف العراقيون بالمظاهرات فقط، بل لجأوا الى أسلوب إشراك الجماهير في مساهمات عامة، وذلك من خلال جمع الإعانات والهبات المادية كأفراد وجماعات مسلمين ومسيحيين ويهود، للتعبير عن موقفهم المساند للدولة العثمانية ضد أعدائها (لغة العرب،١٩١٢،ص ٢١٨).

أما الموصل فكان صدى الانقلاب العثماني فيها محدوداً لاسيما وأن السلطان عبد الحميد الثاني كان يحتل مكانة في نفوس أبناء الموصل بوصفه خليفة المسلمين، كما أن سكان الموصل كانوا قد تأثروا بالحملات الدعائية التي كان يروجها أعوان السلطان عبد الحميد الثاني من دعاة الجامعة الإسلامية (علي،١٩٨٧،ص٢٣٩)، فضلاً عن ذلك كان الوعي الديمقراطي ضعيفاً في أوساط سكان ولاية الموصل ومن الجدير بالذكر أن بعض الأوساط المحافظة في الموصل أبدت تحفظات على دعوة النظام الجديد الى مساواة المسلمين بغيرهم، لاعتقادهم بأن ذلك سوف يؤدي الى تجريدها من امتيازاتها القديمة، ومع كل تلك المشاعر فقد تلقى بعض أبناء الموصل نبأ إعلان الدستور بفرح كبير وعقدوا عليه آمالاً كبيرة، فقد أعرب هؤلاء عن تأييدهم للانقلاب عن طريق إقامة الصلوات في المساجد، كما نظموا تظاهرات واسعة وأقيمت معالم الزينة في بعض البيوت وعلى المدارس الحكومية وكانت العيارات النارية تطلق بين آونة وأخرى احتفالاً بالمناسبة (العبيدي، ٢٠٠٠،ص٧٨).

وقد نظم الشاعر الموصلي محمد حبيب العبيدي ***، قصيدة أعرب فيها عن ترحيبه بالدستور واثنى على الانقلاب الذي وصفه بالثورة، وانتقد في قصيدة أخرى السلطان عبد الحميد الثاني ولاسيما نزعته الاستبدادية وقد جاء فيها قوله (الجابري،١٩٨٠،ص٦٢):

أو لم يكفه ثلاثون حولاً وهو يلهو بالملك كيفما يشاء

وهناك الكثير من الشخصيات الثقافية البارزة المؤيدة للانقلاب والدستور العثماني وكان من أبرزهم فهمي عبد الرحمن المدرس، الذي سخر علمه في كتابة مقالات كثيرة دافع بها عن الانقلاب، أما في البصرة فقد قوبل إعلان الدستور بالصمت ولاسيما في الأيام الأولى من الانقلاب، ويعود السبب في ذلك الى تكتم الوالي حسن بيك الذي كان معارضاً للدستور عن إبلاغ الأهالي كان سبب ذلك الصمت لكن وصول طالب النقيب ****، من اسطنبول وأخبارهم بما جرى كان حافزاً قوياً لفرحتهم ومن ثم الإعراب عن استبشارهم، وفي أواخر تموز عام ١٩٠٨، أقام طالب النقيب حفلاً في داره حضره رؤساء الدوائر الرسمية وأعيان المدينة فضلاً عن حشد من الأهالي، وألقى فيه خطبة مبيناً فيها أهداف الثورة ومبادئ الدستور مما أدى الى تفاؤل البصريين بالدستور، وقد أخذت ولاية البصرة تسير نحو التقدم والرقي والعمران منذ أن أعلنت الدولة العثمانية الحكم بالدستور عام ١٩٠٨، وقلت هجمات عصابات اللصوص عليها وجرى فيها نوع من الإصلاح (الأعظمي،١٩٥٧،ص١٦٥).

أما الأكراد فقد استبشروا خيراً بالانقلاب العثماني في البداية ورحبوا به لاسيما بعد أن عرفوا أن الدستور العثماني الجديد حمل شعار الحرية والعدالة والمساواة، وإطلاق سراح المسجونين وبذلك اعتقدوا أنهم أصبحوا في مأمن من عقاب القانون (توماباوا،٢٠٠١،ص٤١)، وبدأت الصحف الكردية بالظهور في العديد من المدن داخل الدولة العثمانية ولاسيما في العاصمة إسطنبول لكن الوضع تغير فيما بعد وبدأت الانتفاضات الكردية في العراق بالظهور ، ويرجع سبب ذلك الى الأعمال الجائرة والقاسية التي اتبعها الاتحاديون ومحاولتهم اتباع سياسة التتريك ودمج الأكراد بالعنصرية التركية (توفيق،٢٠٠٤، ص٩٨).

أثارت السياسة التي اتبعها رجال الانقلاب في المجال القومي استياء الفئات القبلية العشائرية الكردية المتنفذة، ولاسيما وأن رجال الانقلاب لم يستطيعوا أن يحلوا المسألة القومية التي لم تكن أهميتها تقتصر على الناحية السياسية فقط وإنما تتعدى ذلك الى المجال العسكري (توفيق،٢٠٠٤،ص٩٩).

أما صدى قيام ثورة عام ١٩٠٨، بين العشائر فإنها لم تقابل بترحيب واضح، والسبب في ذلك يعود الى جهلها بأهداف الدستور ومضمونه وما يدعو إليه، كذلك عدم قيام السلطات في العراق بعد إعلان الدستور مباشرة بتوعية العشائر وتعريفها بالدستور ومفاهيم الثورة كالحرية والآخاء والمساواة، ومن المحتمل أن عدم قيام السلطات بذلك يعود الى ضعف إمكانياتها وافتقارها الى موظفين يقدرون قيمة الدستور ويؤمنون بعمق بأهدافه وكذلك بُعد العشائر نفسها عن المدن، وربما كان انطباع بعض المسؤولين عن جهل العشائر ونظرتهم الخاصة إليها قد حمل السلطات الحكومية على عدم توعيتها وتعريفها بالدستور (محمود،١٩٨٠،ص١٩١).

ومن جهة أخرى علقت بعض العشائر آمالاً على خلع السلطان عبد الحميد الثاني في أنصافها باستعادة ملكية الأراضي التي تتصرف فيها إليها بعد أن كان السلطان المخلوع قد تملكها، وعلق بعض الشيوخ آمالاً في أن تسن أنظمة وقوانين تضع حداً لمنازعات أفراد عشائرها، وغالى بعض الشيوخ في مفهوم الحرية وأظهروا عدم ثقة بقدرة الدولة على تطبيقها فقد أعرب أحد شيوخ قضاء الدليم لسير وليم ويلكوكس خبير الري البريطاني عن إعجابه بأساليب الإنكليز وضرب مثلاً بسماحهم للصحافة بانتقادهم في القاهرة وسماحهم بطبعها ونشرها بين الناس، وأكد له بأن كاتباً عراقياً لو نقد الترك مثلما ينقد المصريون أعمال الإنكليز فإن مصيره سيكون السجن المؤبد، وأضاف الشيخ مخاطباً ويلكوكس بقوله : **"لماذا لا تأتون أيها الإنكليز الى بلادنا هنا فتعلمونا الحرية "** (صدى بابل،١٩١٢،ص١٥٧).

ومن المحتمل أن بعض العشائر قد شعرت فيما بعد بمفهوم الحرية كباعث للثورة ضد خصومها من العشائر الأخرى، ومن المحتمل كذلك أن بعض أفراد العشائر قد تصور أن الحرية مفهوم يتيح له التعرض للطرق والتجاوز على الآخرين، ومما لا شك فيه أنه قد أصبح واضحاً لدى بعض أفراد العشائر والشيوخ بأن عهداً جديداً قد بدأ لاسيما عندما قامت السلطات بإطلاق سراح الشيوخ والأفراد المعتقلين بعد إصدار العفو عنهم، فضلاً عن اتخاذ بعض الإجراءات لتسوية النزاعات بين العشائر واتخاذ الإجراءات لإخضاع بعض العشائر المتمردة، ودعوة الشيوخ لحضور احتفالات يوم إعلان الدستور، وكذلك عندما قامت الانتخابات وظهرت الأحزاب والجمعيات السياسية وغير السياسية والصحافة وكان انتداب السلطات العليا لخبير الري البريطاني ويليم ويلكوكس الى العراق وتبني مقترحاته لحل مشكلة الجفاف في مناطق نهر الحلة بإنشاء سد الهندية يعد أبرز علامة إصلاحية ملموسة من علامات العهد الدستوري الجديد شعرت بها العشائر المستفيدة من مشروع هذا السد الذي كان بناؤه يهدف الى تحسين ظروفاً معيشتها واستقرار جماعتها
(محمود،١٩٨٠،ص١٩٣).

كانت سلبيات العهد الدستوري ذات تأثير واضح المعالم على العشائر، منها عدم إعطاء حق المشاركة للعشائر في الانتخابات في العهد الدستوري بالرغم من كثرتهم ومطالبهم السلطات بممارسة ذلك الحق ، وكانت الحكومة تماطلهم في طلبهم بدعوى جهلها لإعدادهم ومحلات سكناهم (كونتوف،١٩٨٦،ص١١٣).

لم يتمكن الاتحاديون من تنفيذ سياستهم القائمة على التتريك وتطبيقها على العشائر ولا تنفيذ المركزية في الحكم بحيث تصبح العشائر خاضعة وتابعة لهم كما حصل في الكوت ويعود ذلك الى الموظفين الذين استخدمتهم الحكومة العثمانية في العراق، فمعظم هؤلاء يجهلون اللغة العربية وغير أكفاء وبقيت الحالة على ذلك الى انتهاء الحكم العثماني في العراق بقيام الحرب العالمية الأولى (مبارك،١٩٤٢،ص٤٥).

أما الحسنات التي جاء بها الدستور فكثيرة منها تأسيس عدة مدراس رسمية للبنين والبنات وتنظيم دار المعلمين وتأسيس مدرسة الحقوق، وتنظيم دوائر الحكومة، ونهوض التجارة والزراعة والعمران، وإطلاق الحرية للشعب في تشكيل الأحزاب السياسية والأندية العلمية (يحيى،١٩٦٦،ص٤٤).

فتحت ثورة الاتحاديين الأبواب على مصراعيها للمؤتمرات الفكرية التي كانت تصل من بلاد الشام ومصر واسطنبول الى العراق، ومما شجع ذلك الانفتاح تخفيض أجور البريد الى خمس الأجور عما كانت عليه مما سهل تدفق الصحف والمجلات، ولا ينكر أن الانقلاب العثماني ساعد على فتح ميادين كثيرة وواسعة ساعدت على نمو الأفكار الاصلاحية، فقد انتشرت المطبوعات، وتنبهت الأفكار، لاسيما وأن الكتابات العربية الجديدة تدعو العرب الى النهوض والتقدم عن طريق الإصلاح في كل الميادين ولاسيما العلم وتحمل المصلحون بذلك مسؤولية تثقيف الناس ليزيدوا وعيهم ويرتقوا بهم الى مستوى الأحداث التي وصلت إليها الدولة العثمانية فضلاً عن مسؤوليتهم في تعميق المفاهيم الإصلاحية ونشرها بين ثنايا المجتمع العراقي (عبد الزهرة،٢٠٠٥،ص٥٤).

كما كان من منجزات العهد الدستوري، أن ألغيت القيود التي كان قد فرضها العهد الاستبدادي على حرية النشر، فقد تلقت مديرية معارف ولاية بغداد أمراً يقضي بالسماح بنشر الكتب دون حاجة استحصال ترخيص بنشرها، كذلك كان من مكاسب العراق في العهد الدستوري، ان أطلق سراح المعتقلين، وسمح للذين كانوا محتجزين في اسطنبول بالعودة الى العراق، كذلك كان من إفرازات العهد الدستوري، إجراء انتخابات لاختيار نواب عن العراق الى البرلمان العثماني الثاني، وفقاً لدستور عام ١٨٧٦، وأجرت الحكومات المحلية في الولايات العراقية – بناء على أوامر تلقتها من الحكومة العثمانية – احتفالات كبيرة، بمناسبة افتتاح البرلمان العثماني الثاني (عبد الزهرة،٢٠٠٥،ص٥٥– ٥٦).

إلا أن ما شهده العراق من تقدم وحرية في العهد الدستوري، لم يمنع من جهة أخرى استمرار كثير من مساوئ العهد الاستبدادي، كضالة مساهمة العراقيين في الوظائف الحكومية وعدم توسيع العهد الدستوري لها، وكذلك استمرار العهد الدستوري في مخاض القيود على استعمال اللغة العربية في المؤسسات الحكومية، وبالرغم من صدور بعض الصحف في العهد الدستوري باللغة العربية وكذلك السماح للمواطنين بتقديم العرائض الى الدوائر العدلية، بعد أن لم يكن يسمح في العهد الاستبدادي، باستخدام اللغة العربية في المعاملات الحكومية، إلا أن ذلك لم يمنع بعض كبار المسؤولين في العهد الدستوري من اتخاذ موقف متحفظ إزاء استعمال اللغة العربية، كما أن ذلك التحفظ كان استمراراً لما كان سائداً في العهد الاستبدادي من اعتبار التركية لغة رسمية في المدارس وفي المؤسسات الحكومية الأخرى (كاربيكر،١٩٩١،ص١٧٦).

وقد كان لسياسة الاتحاديين تلك ردة فعل عنيفة من قبل الفئة المثقفة العراقية الحديثة التي بدأت تحرض الناس وتنبهم على الأعمال العنصرية التي يتبعها الاتحاديون، كما أخذت تنتقد السلطات الحاكمة علناً وبكل جراءة عن تلك الأعمال العنصرية، وأخذت السلطات الحاكمة بضرورة تغيير تلك السياسة .

المبحث الثالث. دور المثقفين في التنظيمات السياسية والمؤسسات الفكرية:

لم يكن في العراق قبل عام ١٩٠٨، أي تنظيم سياسي ولكن بعد عام ١٩٠٨، وحاولت حكومة الاتحاديين فسح المجال لتأليف جمعيات ثقافية بشرط أن يتم إخبار سلطات الولاية بذلك وتتم الموافقة الرسمية، وقد كانت بداية التنظيمات الحزبية في العراق على شكل فروع لأحزاب قائمة في العاصمة العثمانية، ويعد فرع جمعية الاتحاد والترقي أول تنظيم سياسي ظهر في العراق عام ١٩٠٨، ويمثل البداية الأولى لتبلور عملية التنظيم الحزبي، وقد افتتحت (جمعية الاتحاد

والترقي) أول فرع لها في بغداد عام ١٩٠٨،(عبد،٢٠٠٦،ص٣١١)، إلا أن عضويتها كانت تقتصر في الأساس على الموظفين، وضباط الجيش، وبعض اليهود، إلا أنها حظيت بتأييد بعض المثقفين مثل الرصافي والزهاوي (العطية،١٩٧٢،ص٣٥).

وقد افتتحت الجمعية فروعاً لها في بغداد والموصل والبصرة والنجف والحلة، وقد رافق عملها السياسي نشاط دعائي هدفه كسب المواطنين الى صفوفها، حيث اهتمت بالتعليم والاهتمام بتربية الجيل الجديد تربية موحدة من خلال التعليم (الحسني،١٩٨٠وص١١) فشرعت بفتح مدارس ابتدائية ملحقة بها، وقد أولى الاتحاديون تلك المدارس اهتماماً حتى أن طلابها ارتدوا الملابس العسكرية، وحملوا البنادق في أثناء تجوالهم في شوارع المدن، وذلك ما حدث في مدينة الموصل كما عين لهم معلمون من الجمعية لتعليمهم أهدافها ومبادئها، وكان المثقفون من العراقيين يناصرون جمعية الاتحاد والترقي وهم كثيرون، وحاولوا بكثرتهم أن يجدوا من يؤيدهم من الأتراك وأن يعملوا بنوع من التكاتف والتعاون لاستحصال حقوقهم وإصلاح إداراتهم، ولكن لم تمض مدة حتى صار طلاب الحرية والمساواة من الترك لا يقصدون إلا حريتهم وحرية شعبهم ولا يهتمون بحرية الشعوب الأخرى، واتجهوا نحو التعصب العنصري ومارسوا سياسة التتريك (عبد، ٢٠٠٦، ص٣١٥).

بدأت تظهر للوجود جمعيات ثقافية عراقية وكانت البصرة سباقة في ذلك الميدان ، ففيها ظهرت في عام ١٩٠٩ ، (جمعية المحاورات العراقية) التي كان أعضاؤها من الأدباء بالأساس وكانت الجمعية تعقد ندوات أسبوعية في مقر الإرسالية الأمريكية في المدينة وطالبت الجمعية أعضاءها الأدباء بحضور تلك الندوات حتى لا يحرموا من تلك الفوائد الأدبية (الحسني،١٩٨٠وص١٢).

أما في بغداد فقد برزت للوجود جمعية ثقافية في مرحلة ما بعد الثورة الاتحادية ، أطلق عليها أسم (نادي اتحاد الشبيبة) الذي تم تأسيسه في أوائل العام ١٩١٠، جعل شعاره الأساس الاهتمام بالعلم والمعرفة، وحب الوطن والتضحية من أجله وكان أغلب أعضائه من المثقفين البارزين في بغداد وكان من أبرزهم يوسف غنيمة*****.

أسست الطائفة اليهودية في بغداد في العام ١٩١٢، (النادي البغدادي) الذي جعل شعاره تنظيم المجتمع، وتعويد المواطنين على سماع الأحاديث الأدبية، وحضور الندوات الثقافية (قاسمية،١٩٧٣،ص٨٩).

وفي العام ١٩١٣ ظهر نادي آخر في بغداد سمي (النادي الكرخي العلمي) وكان ذلك النادي يعقد اجتماعاته وندواته في مساء كل يوم، مما يضفي عليه طابعاً شعبيا، أما مدينة النجف المقدسة فقد احتلت المرتبة الثالثة بين المدن العراقية من حيث ظهور الجمعيات الثقافية فيها قبل الحرب العالمية الأولى ففي العام ١٩١٢، ألفت فئة من مثقفي المدينة (جمعية أخوان الصفا) التي أخذت على عاتقها مهمة توزيع الصحف، ونشر أفكارها بين أهالي المدينة (علي،١٩٧٢، ص٧٠).

ساهم المثقفون الكرد من العراقيين في الجمعيات الثقافية والكردية التي ظهرت في اسطنبول وديار بكر يومذاك، ولاسيما (جمعية هيفي كورد) (أمل الكرد) ذات النهج القومي الواضح، أصدرت مجلة باسم (روژی کورد) أي (يوم الكرد) كما تأسست في إسطنبول عام ١٩٠٨، (جمعية تعالي وترقي كردستان) وأصدرت جريدة تحمل الاسم نفسه، وحاول المثقفون جلب الانتباه الى الجمعيات النسائية وأهميتها في حياة امرأة العراقية من أجل تحسين أوضاعها الاجتماعية والثقافية، فإن اهتمام السوريين في تأسيس جمعيات نسائية دفع أحد المثقفين الى أن يتمنى أقامة مثل تلك الجمعيات في العراق (المنار،١٩١٣،ص٢٢٩).

بدأت تظهر على الساحة العراقية مظهر جديد من مظاهر الحياة السياسية الجديدة ، فقد برز دور الجمعيات العربية وارتباط التنظيمات العراقية بالنشاط العربي الذي كان قد بدأ قبل عام ١٩٠٨، لاسيما في سوريا حيث كانت ثمة عدة جمعيات عربية تدعو الى تحقيق بعض الأهداف التي يطالب بها العرب، وكان يقود معظم هذه الجمعيات مسيحيون عرب، وقد مهد إعلان الدستور الطريق أمام تأليف تجمعات جديدة تختلف عن القديمة في نقطتين الأولى أنها قد شكلت من المسلمين العرب، والثانية أنها كانت أكثر قوة في مطالبتها بالحقوق العربية ما عدا الاستقلال، وكانت أهم تلك الجمعيات (الإخاء العربي العثماني) عام ١٩٠٨ ، ومؤسسها شفيق بك المؤيد الذي أعدم من قبل الأتراك عام ١٩١٥، (والجمعية القحطانية) عام ١٩٠٩ ، (والعربية الفتاة) عام١٩١٠ ، (وحزب اللامركزية الإدارية العثماني) في القاهرة عام ١٩١٢، (وحزب العهد السري) (الجبوري،١٩٧٧،ص١٥).

ويعد حزب اللامركزية العثماني، الأبرز على الساعة العراقية آنذاك، وقد تأسس ذلك الحزب في مصر خلال الأعوام ١٩١٢ – ١٩١٣، على أيدي بعض المثقفين السوريين ، الذين اتفقوا على العمل من أجل وحدة الإمبراطورية العثمانية، وبالتأكيد على ضرورة الإدارة اللامركزية التي يتمتع فيها العرب بكامل حقوقهم (المنار،١٩١٣،ص٢٣١).

دعا حزب اللامركزية العثماني الى عقد مؤتمر عربي لبحث القضية العربية وطرح المطالب العربية، وقد تم عقد المؤتمر في باريس خلال المدة من ١٨ الى ٢٣ حزيران ١٩١٣، وكان أول محاولة من نوعها ومثل العراق فيه توفيق السويدي****** ، وسليمان عنبر (وكان الاثنان طالبين في باريس) ، وتلقى المؤتمر برقيتي تأييد من العراق، الأولى من طالب النقيب في البصرة، والثانية من بغداد، وبهذلك النشاط السياسي العلني، حضر العراقيون المؤتمرات السياسية ونشطوا ضمن تنظيمات سياسية محلية وعربية معارضة لسياسة الاتحاديين، وضمن ذلك الجو من العمل السياسي العلني ظهرت فئة جديدة فاعلة ضمن الفئة العراقية المثقفة والمؤثرة في المجتمع، فبرز دور واضح لمجموعة من الشباب وعدد كبير من الضباط العاملين في القوات المسلحة العثمانية (Share, 1972,p.45).

عندما بدأت تظهر النوايا الحقيقية لاتحاديين ولاسيما تلك التي ترمي الى استعمال سياسة التتريك، التي تدعو الى طمس الشخصية العربية، تخلى العديد من المثقفين عن عضوية جمعية الاتحاد والترقي ، وتحول عدد من هؤلاء المثقفين العراقيين والعرب الى مجال السياسي السري، وبذلك بدأت مظاهر الحياة السياسية الجديدة تتجه نحو الفاعلية والتأثير، وبدأت الفئة المثقفة العراقية تأخذ دور المبادر الى التغير، وأحياناً دور القيادة، إذا ظهر بوضوح مدى استيعاب تلك الفئة للجو الثقافي السائر في المحيط العثماني وكذلك الوعي الذي اكتسبته من خلال اتصالها بالمحيط الثقافي العربي (رؤوف،١٩٨٥،ص١٢٨).

عبرت تلك المظاهر الجديدة في الحياة السياسية للفئة المثقفة العراقية الحديثة عن تنامي الوعي الوطني والقومي في العراق، إذ بدأت الفئة المثقفة في تلك المرحلة تقترب من فهم الرابطة القومية والحس الوطني .

الخاتمة:

كان تأسيس (جمعية الاتحاد والترقي) وثورتها في العام ١٩٠٨، فيضانا في تاريخ الدولة العثمانية خلال مراحله الأخيرة، فتح الأبواب أمام طوفان فكري، فتغلغلت في كل الدولة العثمانية، وفي اسطنبول على الخصوص، ذخيرة كاملة من الأفكار الجديدة بدلت وطورت معالم الواقع الفكري في الدولة العثمانية، وهيأت الأرضية اللازمة لنجاح الاتحاديين في وضع نهاية لنظام طويل الأمد، أُنشئ بعناية وطور ونُقي وجُدد من لدن السلطان عبدالحميد الثاني لأكثر من ثلاثة عقود،

ليختفي ببساطة عن الأنظار، ولا يقل عن ذلك أهمية إن الاتحاديين تمكنوا، من خلال أفكارهم، تشخيص النظام القديم في الصياغات العثمانية بأقوى الصيغ، وعملوا على استبدال المؤسسات القديمة بأخرى جديدة .

وان جمعية الاتحاد والترقي بنهجها السياسي وتوجهاتها المركزية في الحكم وكل التغيرات والتطورات التي حدثت بعد الثورة، أرادت بها أم لم ترد، أعطت دفعا لتبلور الوعي القومي في المنطقة وكان لثورة الاتحاديين دور مميز في إعادة تنظيم الشرق الأوسط والبلقان، وبسببها فإن المنطقة من سكوتاري في ألبانيا إلى البصرة أصبحت على معرفة بالأحزاب السياسية، والنوادي الوطنية، والانتخابات وفكرة الحقوق الدستورية .

الهوامش

*** الكاربوناري، أو حارق الفحم جمعية سرية تأسست في إيطاليا أوائل القرن التاسع عشر من مجموعة استفزتهم السيطرة الأجنبية على بلادهم، ورفعت الجمعية ''الحرية والاستقلال'' شعارا لها. جمع بينها وبين الجمعيات الماسونية تشابها كبيرا في طبيعة الحفلات وماهية المراسيم والشعائر والأقسام والعهود. وكانت هذه الجمعية أشهر الجمعيات السرية في إيطاليا، وأكثرها نفوذا، أدت دورا فاعلا في الثورات المجهضة لسنوات ١٨٢١ و١٨٣١، وأسهمت بشكل متميز في حركة الانبعاث والوحدة الإيطالية. يراجع: صالح محمد العابد، حركة الانبعاث الإيطالية Risorgimento، مجلة ''المؤرخ العربي'' ، العدد١٧، ١٩٨١، ص١٦٦.**

**** وتعني ''جمعية الأصدقاء''، وهي جمعية سياسية سرية أسسها في روسيا التجار اليونانيون المقيمون هناك عام ١٨١٤، ثم مدت نشاطها إلى أقاليم الدولة العثمانية، مع تركز أكبر في اليونان، وفي العام ١٨١٨ نقلت الجمعية مركزها إلى اسطنبول. رغم اقتصار أعضاء الجمعية في المراحل الأولى على التجار، فأنها ما لبثت أن ضمت بين صفوفها مختلف فئات المجتمع اليوناني، فمع التجار صار هناك الحرفيون، وملاك الأراضي، ورجال الدين، والمثقفون. وتزايد عدد أعضاء الجمعية بشكل سريع، فتراوح عام ١٨٢٠ ما بين ٨٠ ألف و٢٠٠ ألف عضو، ساعد على نجاح نشاطها بنيتها التنظيمية المقتبسة، بدرجة كبيرة، من الكاربوناري والماسون. وقد تمكنت الجمعية من تهيئة الأوضاع للثورة في اليونان وإعلان الانتفاضة عام ١٨٢١. يراجع: الدكتور هاشم صالح التكريتي، المسألة الشرقية ، المرحلة الاولى١٧٧٤_١٨٥٦، بغداد، ١٩٩٠، ص٩٠.**

***** ولد في الموصل عام ١٨٨٠ وأكمل تعليمه فيها وأصبح من جماعة العلماء ، فكان محترماً بين العلماء والوجهاء والحكام ، وأخذ ينظم الشعر في عنفوان شبابه ، وله الكثير من المؤلفات منها : نادي الشرق ، حبل الاعتصام ، صدى الحقيقة والنواة في حقول الحياة وغيريها. للتفاصيل ينظر: عبد الكريم محمود غرايبة ، مقدمة في تاريخ العرب الحديث ١٥٠٠ – ١٩١٨ ، مطبعة جامعة دمشق ، ١٩٦٠ ، ج١ ، ص٢٢٣.**

****** ولد بالبصرة سنة ١٨٧٠ ، على الرغم من انتهازية شخصيته لكنه كان في الوقت نفسه جريئاً ، تولى متصرفية لواء الأحساء التابع لبصرة عام ١٩٠١ حتى عام ١٩٠٣ ، ثم أصبح عضواً في مجلس شورى الدولة بإسطنبول الذي استمر فيه الى أيام ثورة الاتحاديين ، توفي عام ١٩٢٩ . للمزيد من التفاصيل ينظر : مير بصري ، أعلام اليقظة العسكرية ، ص١٩ ؛ حسين طالب اسلاه ، طالب النقيب ودوره في تاريخ العراق الحديث ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة عين الشمس ، ١٩٧٠، ص٥٩ .**

******* يوسف رزق الله غنيمة (١٨٨٥ – ١٩٥٠) ، ولد ببغداد ، درس في مدرسة الأليانس ، تعلم اللغة التركية والفرنسية والإنكليزية إضافة الى العربية والكلدانية ، مارس التجارة والبحث والكتابة ، عين وزيراً للمالية خمس مرات في العهد الملكي ، وضع عدة مؤلفات في التاريخ والاقتصاد العراقي ، يعد من رواد القصة الطويلة ، فقد نشر قصة " الأوهام " عام ١٩١٠ في مجلة "تردلة العلوم". لتفاصيل ينظر : مير بصري ، المصدر السابق ، ص١٦٣**

******** توفيق السويدي (١٨٩٢ – ١٩٦٨) ، ولد ببغداد ، أتم دراسته العالية بمدرسة الحقوق في اسطنبول وجامعة السوربون باريس . وهو سياسي محنك ، تولى عدة وزارات كما ترأس الحكومة ثلاث مرات في العهد الملكي ، ينظر : مير بصري ، أعلام السياسة في العراق الحديث ، رياض الريس ، لندن ، ١٩٨٥ ، ص١١٨.**

قائمة المصادر

اولا : الرسائل والاطاريح :ـ

١- حسين طالب اسلاه ، طالب النقيب ودوره في تاريخ العراق الحديث ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة عين الشمس ، ١٩٧٠ .

٢- عصمت برهان الدين عبد القادر ، دور النواب العرب في مجلس المبعوثان العثماني ١٩٠٨ – ١٩١٤ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة الموصل ، ١٩٨٩.

٣- محمد أحمد محمود ، أحوال العشائر العراقية العربية وعلاقتها بالحكومة ١٨٧٢ – ١٩١٨ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الإدارة ، جامعة بغداد ، ١٩٨٠ .

٤- محمد جليل الجابري ، الحركة القومية العربية في العراق ين ١٩٠٨ – ١٩١٤ ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، ١٩٨٠

٥- محمد عبد الرحمن يونس العبيدي ، السلطان عبد الحميد الثاني والجامعة الإسلامية ١٨٧٦ – ١٩٠٩ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية ، جامعة الموصل ، ٢٠٠٠

٦- نادية ياسين عبد ، الاتحاديون – دراسة تاريخية في جذورهم الاجتماعية وطروحاتهم الفكرية أواخر القرن التاسع عشر ١٩٠٨ ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، جامعة بغداد ، ٢٠٠٦.

٧- هوكر طاهر توفيق ، دور الصحافة الكردية في تطوير الوعي القومي الكردي ، ١٨٩٨- ١٩١٤ ، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب ، جامعة صلاح الدين ، أربيل ، ٢٠٠٤ .

ثانيا ـ المصادر العربية والمعربة :

١- أنيس الخوري المقدسي ، التيارات الأدبية في العالم العربي المعاصر ، بيروت ، ١٩٦٧.

٢- أورخان محمد علي ، السلطان عبد الحميد الثاني حياته وأحداث عهده ، مكتبة دار الأنبار ، الرمادي ، ١٩٨٧.

٣- "بغداد من ١٩٠٠ حتى سنة ١٩٣٤" . الجامع من المفيد والظريف ، إعداد وتحقيق ، فخري الزبيدي ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ،ج١، ١٩٩٠.

٤- توفيق السويدي ، مذكراتي نصف قرن من تاريخ العراق والقضية العربية ، مطابع دار العهد ، بيروت ، ١٩٦٦.

٥- توفيق علي برو، العرب والترك في العهد الدستوري العثماني ١٩٠٨- ١٩١٤، القاهرة ،١٩٥٠.

٦- تومابوا ، تاريخ الأكراد ، ترجمة محمد تيسير ميرخان ، دار الفكر المعاصر، بيروت ، ٢٠٠١.

٧- جلال يحيى ، العالم العربي الحديث ، القاهرة ، ١٩٦٦.

٨- حسن كاشي، الوجه الآخر للاتحاد والترقي، ترجمة وتقديم : محمد م.الارناؤوط، ، الأردن، ١٩٩٠.

٩- خيرية قاسمية ، النشاط الصهيوني في الشرق العربي وصداه ١٩٠٨ – ١٩١٨ ، منظمة التحرير الفلسطينية ، بيروت ، ١٩٧٣.

١٠- زكي مبارك ، ملامح المجتمع العراقي ، مطبعة أمين عبد الرحمن ، القاهرة ، ١٩٤٢.

١١- عبد الجبار حسن الجبوري ، الأحزاب والجمعيات السياسية في القطر العراقي ١٩٠٨ – ١٩٥٨ ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٧٧.

١٢- عبد الرحيم محمد علي ، المصلح المجاهد الشيخ محمد كاظم الخرساني ، النجف ، ١٩٧٢.

١٣- عبد الرزاق الحسني ، تاريخ الأحزاب السياسية العراقية ، مركز الأبجدية ، بيروت ، ١٩٨٠.

١٤- عبد الكريم محمود غرايبة ، مقدمة في تاريخ العرب الحديث ١٥٠٠ – ١٩١٨ ، مطبعة جامعة دمشق ، ج١ ،١٩٦٠.

١٥- عدي حاتم عبد الزهرة ، النجف الأشرف وحركة التيار الإصلاحي ١٩٠٨ – ١٩٣٢ ، مطبعة المواهب ، بيروت ، ٢٠٠٥.

١٦- علي ظريف الأعظمي ، مختصر تاريخ البصرة ، مطبعة الفرات ، بغداد ، ١٩٢٧ ، ص١٥٦ .

١٧- فاضل مهدي بيات ، دراسات في تاريخ العرب في العهد العثماني رؤية جديدة في بنود الوثائق والمصادر العثمانية ، بيروت ، ٢٠٠٣.

١٨- فيروز أحمد، صنع تركيا الحديثة ، ترجمة : سليمان داود الواسطي وحمدي حميد الدوري ، بغداد، ٢٠٠٠.

١٩- كاظم كاربيكر ، جمعية الاتحاد والتراقي ١٨٩٦ – ١٩٠٩ ، اسطنبول ، ١٩٩١.

٢٠- كاظم نامي دورو، ذكرياتي عن الاتحاد والترقي، اسطنبول، ١٩٥٧.

٢١- ليف كوتلوف ، الحركة العربية في المشرق ١٩٠٨ – ١٩١٤ ، دراسة سياسية تاريخية اقتصادية، ترجمة زياد المطر ، موسكو ، ١٩٨٦ ، ص١١٣ .

٢٢- محمد احمد حبيب ، نهضة الشعوب الاسلامية في العصر الحديث ، مصر ، ١٩٥٣.
٢٣- محمد انيس ، الدولة العثمانية والشرق العربي ١٥١٤- ١٩١٤، القاهرة ، ١٩٨٤.
٢٤- محمد حرب ، العثمانيون في التاريخ والحضارة ، دمشق ، ١٩٩٩
٢٥- محمد عبد الرحمن ، دراسة في تاريخ العرب الحديث والمعاصر ، مصر ، ١٩٧٤.
٢٦- محمد علي كمال الدين ، التطور الفكري في العراق ، شركة التجارة والطباعة ، بغداد ، ١٩٥٩.
٢٧- محمود صالح ، حركة اليقظة العربية في الشرق الآسيوي ،دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٧٨.
٢٨- مير بصري ، أعلام السياسة في العراق الحديث ، رياض الريس ، لندن ، ١٩٨٥
٢٩- هاشم صالح التكريتي، المسألة الشرقية، المرحلة الاولى ١٧٧٤_١٨٥٦، بغداد، ١٩٩٠
٣٠- وميض جمال عمر نظمي ، الجذور السياسية والفكرية والاجتماعية للحركة القومية العربية في العراق (الاستقلالية) ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ١٩٨٤.
٣١- ويليم ويلكوكس ، تقرير عن ري العراق ، مطبعة الحكومة ، بغداد ، ١٩٣٧ ، ج١ ، ١٩٣٧.

ثالثا – المصادر باللغة الانكليزية :

1 – Yaph, Juith Share, The Arab Revolt in Iraq of 1920, Thesis Submitted in partial ful fillent of the requirements for the degree of PH. D., University of Illinois, 1972, P.45.

2– M.Şükrü Hanioğlu, The Young Turks in Opposition, P.169.

3 – G.S.Papadopouloos, England and the Near E 1896-1898, Institute for Balkan Studies, Thessaloniki, 1969, P.56.

رابعا – البحوث المنشورة :

١- صالح محمد العابد، حركة الانبعاث الإيطالية Risorgimento، مجلة ''المؤرخ العربي'' ، العدد١٧، ١٩٨١.
٢- عماد عبد السلام رؤوف ، تطور الفكر القومي العربي ، " مجلة المستقبل العربي " ،العدد ٨١ ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ١٩٨٥.
٣- غسان العطية ، التنظيم الحزبي في العراق قبل الحرب العالمية الأولى ، مجلة "دراسات عربية" ، السنة الثالثة ، العدد ١٢ ، تشرين الأول ، ١٩٧٢ .
٤- محمد جبار ابراهيم ، العراقيون والانقلاب الدستوري في الدولة العثمانية سنة ١٩٠٨، جريدة المدى اليومية ، بغداد ، الأحد ٨-١٢-٢٠١٣.

خامسا – المجلات :

١- مجلة " لغة العرب " ، الجزء السابع ، كانون الثاني
٢- مجلة " لغة العرب " ، الجزء الخامس ، تشرين الثاني ، ١٩١٢ ، ص٢١٦ .
٣- مجلة ''الهلال''، الجزء الثالث، السنة الثامنة عشر، ١ كانون الأول ١٩٠٩.
٤- مجلة " صدى بابل " ، العدد ١٥٥ ، السنة الرابعة ، أيلول ، ١٩١٢ ، العدد ١٧٥.
٥- مجلة" المنار" ، السنة ١٦ ، العدد ٣ ، ٨ آذار ١٩١٣ ، ص٢٢٩ .
٦- مجلة " لغة العرب " ، الجزء العاشر ، نيسان ١٩١٣.
٧- مجلة " لغة العرب " ، الجزء الأول ، تموز ١٩١٣.
٨- مجلة " لغة العرب " ، العدد ٣ ، ج٣ ، رمضان ١٣٣٠ ، أيلول ١٩١٢.